مقدمة

إنَّ ما يدور في الساحة اليوم من فوضى الاجتهاد عند بعض المتعالمين، وكارثة الفوضى في الفتيا، والقول على الله بغير علم، والتلاعب بالحلال والحرام حسب الأهواء، مع وجود طوفان هائج من العولمة والتغريب، يحتاج لوقفة جادة وحازمة لمعرفة قيمة وجود العلماء الربانيين، فغيابهم يخلي الساحة لغيرهم من الرويبضة، وأنصاف المتعلمين، فكم نحتاج في هذه الأحوال إلى وقفات حازمة لوضع الضوابط الشرعية في المجالات كافة، حتى تعبر سفينة الأمة بأمانٍ في بحر الفتن المتلاطم، وسير المحن المتفاقم، إلى شاطئ السلامة وبر النجاة.

إن دين الله محفوظ، وشريعته باقية بوجود العلماء الربانيين، فأعلام الديانة مرفوعة بحمد الله، قال صلى الله عليه وسلم :(ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)؛ رواه مسلم، وعنه صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها)؛ رواه أبو داود، وقال: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)؛ رواه البيهقي.

إن العلماء باقون بذكرهم أحياء بعلمهم، يلهج الناس بالثناء عليهم والدعاء لهم، ويجتهدون في اقتفاء آثارهم، وترسم خطاهم، علماً وعملاً، ودعوة ومنهاجاً، تشبهاً بالكرام وإن لم يكونوا مثلهم، فتلك أمارة الفلاح.

وعلماء الشريعة ولله الحمد والمنة مُتوافرون عبر الأعصار والأمصار، يحي الخلف منهج السلف، وأمة الإسلام أمة معطاءة، زاخرة بالكفاءات، ثرية بالعطاءات، مليئة بالقدرات، ففي الأمة من سيحمل مشعل الهداية، وراية العلم والدعوة، ويسد الثغرة، وينهض بالمسئولية العلمية والدعوية، وما علينا إلا أن نقدرهم وأن نعظم من شأنهم نصرة لدين الله، ونفعاً لعباد الله.

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة بوادر سيئة تنم عن وجود أقوام يقدحون في العلماء، ويتكلمون في أعراضهم، ويتحينون فرص الخطأ منهم كي يعظموها، ويستغلوها أسوأ استغلال لإيجاد فجوة بينهم وبين عامة المسلمين حتى لا يسمعوا لهم، ولا يأخذوا عنهم، ويأبى الله ذلك فالعلماء لهم مكانة خاصة في قلوب الناس فهم معروفون بإخلاصهم وصدقهم وحرصهم على نفع المسلمين والقدح في العالم لا يتناول شخصه، بل يتعدى ذلك للعلم الذي يعلمه ويُعلمه للناس، ولا يقدح فيهم إلا (زنديق) كما قال الإمام أحمد، وإذا انتُقص العالم وأهين، فمن يثق الناس به، وإذا زالت ثقتهم بالعالم فعمّن يتلقون الدين؟ فالإساءة للعلماء

ليست ذنباً في حقهم فقط، بل يتعدى ضرره للمجتمع، ومتى ما كان المجتمع يقدر العلماء فليبشر بالخير والسعادة، ومتى ما كان العكس فلا تسأل عن حال الغنم بلا راعي.

أسامة عبد الرحمن